سومر

المجزء الاول والثانى - المجلد الخامس والاربعون

١٩٨٧ - ١٩٨٨

الحضارة العبيدية في فلسطين

د. كمال عزالدين اسماعيل غريبة
وزارة التربية - الكويت

حتى وقت قريب ، كان انسان فلسطين الذي عثر على بقاياه في جبل الكرمل في شمال فلسطين ، يعتبر من اقدم الهياكل الانسانية التي عثر عليها في الوطن العربي حيث كان يجمع بين صفات انسان نياندرثال ، والانسان العاقل ، ويؤرخ بحوالي ٥٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد .

وعند اكتشاف انسان الجليل ، تبين أنه يعود الى ما يقل عن ٧٥,٠٠٠ سنة ، قبل الميلاد ، ويعتبر احد فروع انسان نياندرثال . ثم كانت المفاجأة الكبرى عندما اعلن عام ١٩٦٠ . م عن اكتشاف الحضارة العبيدية في فلسطين ، حيث تم العثور على بقايا انسانية وبعض الادوات التي كان يستخدمها الانسان العبيدى ، وتؤرخ بـ ٤٠٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد على اقل تقدير ، مما يؤكد أن فلسطين من اقدم مواطن الانسان في الوطن العربي بخاصة ، والعالم بعامة .

الموقع والتسمية : تنسب الحضارة العبيدية الى « تل العبيد » الذي يقع في منتصف الضفة الغربية لوادي الاردن تقريباً ، عند التقاء وادي العمود بنهر اليرموك على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب بحيرة طبرية ، في مكان ينخفض نحو مائتين وخمسة امتار عن سطح البحر ، في منطقة الجليل بشمال فلسطين .

التأريخ الزمني : في عام ١٩٥٩ . م ، وعلى سبيل الصدفة ، كشفت الامطار في منطقة تل العبيد عن بقايا انسانية ، وحيوانية ، لفتت انظار المتخصصين الى هذا الموقع وقد ارجعها مكتشفها ستيكلز[1] M.Stekelis الى نهايات مرحلة Villafranchian من عصر البيلستوسين Pleistocene .

(صورة لموقع العبيدية في منتصف وادي الاردن) .

وابتداءً من عام ١٩٦٠ . م ، اسهمت عدة مؤسسات علمية في التنقيب في هذا الموقع منها :

Wenner Gren Foundation The American philosophical Society, and the Swiss National Fund for Anthropological Research.

وامتد المسح الاثري الى مساحة ٨٥٠ متراً مربعاً ، حيث تأكد بعد عدة سنوات من العمل وجود بقايا متحجرة لانسان بدائي ، وعظام بعض الحيوانات في طبقة البيلستوسين وقد قدرها L.picard[2] بعصر البيلستوسين المبكر ، في حين حددها بوردز

(1) Stekelis, Bulletin of the research council of palestineg, Geological Section, No. 4 (1960) 175 f.

(٢) L.picard-M.Baida, Geological Report on the Lower pleistocene Deposits of the ubeidiya Excavations, Jerusalem, 1966.

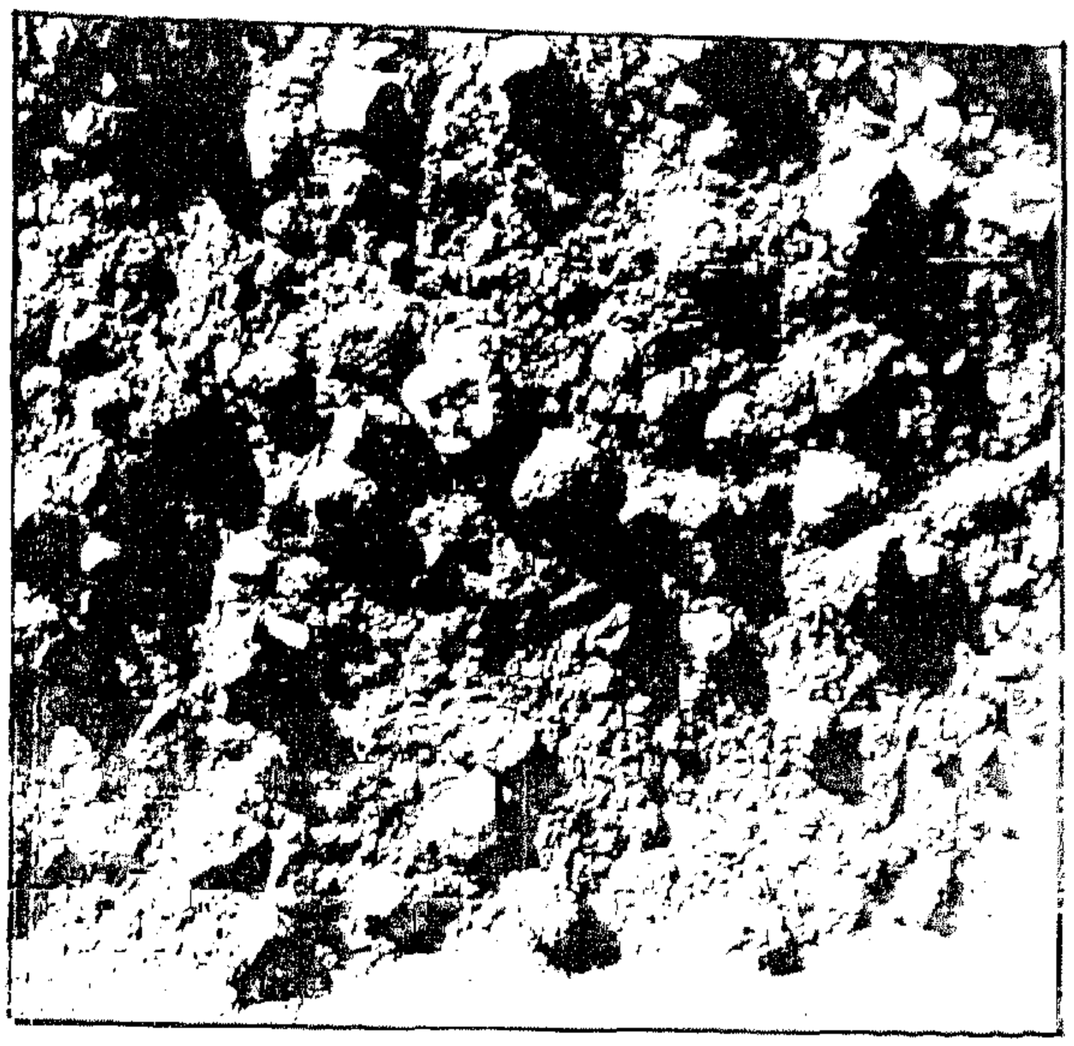

(صورة سطحية لموقع العبيد حيث وجدت عظام وفؤوس حجرية على السطح مباشرة) .

(ادوات حجرية تركها انسان العبيد . وهي من اعلى الى اسفل : فأس يدوية . ساطور . حجارة كروية الشكل للقذف وتؤرخ بحوالي ٤٠٠,٠٠٠ ق . م . . .

Bordes[٣] بالفترة السابقة لظهور الحضارة الابشيلية .

وبمقارنة مخلفات مرحلة ما قبل الابشيلية بتل العبيد بالمخلفات التي اكتشفها L.S.B. Leakey في منطقة Olduvai George بتنزانيا في افريقيا[٤] ، والتي اطلق عليها اسم الحضارة الالدوانية Olduwan ، اتضح وجود تشابه بين الحضارة قبل الابشيلية بفلسطين ، والطبقة الثانية من الحضارة الالدوانية في افريقيا ، مما دعا O.Bar Yosef[٥] لتسميتها الالدوانية الثانية في فلسطين . اما ج . باروت[٦] J.perrot فترى اعتماداً على نتائج الدراسة الطبوغرافية ، والبحث الجيولوجي ، وعلم الاحاثة (أي دراسة أشكال الحياة في العصور الحجرية) إنها تؤرخ بالفترة ما بين ٤٠٠,٠٠٠ الى ٠٠٠ ... من الميلاد

عام ١٩٥٨ . م . والاعلان عن اكتشاف الحضارة العبيدية بفلسطين وتمثل صناعة نحت الحصى pebble اقدم تقنية عرفها الانسان . والواحدة منها عبارة عن حصاة ازيل احد طرفيها . او من طرفين متقابلين لتزويدها بحد قاطع . او بشكل يتناسب والغرض من صناعتها ، وتعرف احياناً بصناعة الفؤوس ذات الوجهين Bifaciel Culture .

الأهمية الحضارية للحضارة العبيدية تضم حضارة العبيدية اقدم المكتشفات الاثرية التي عثر عليها حتى الآن في فلسطين ، بل وفي ربوع الوطن العربي اجمع فهي تسبق الحضارة التي تعرف بالابشيلية Abbevillian (نسبة الى موقع Abbeville في فرنسا) والممثلة بصناعة الفؤوس الحجرية هي اولى الصناعات التي تميز حضارة الانسان في العصر الحجري القديم . قبل اكتشاف الصناعة المعروفة بـ Pebble Culture في شرق افريقيا .

---

(٣) Bordes, The oic Stone age (New york) 1968. 48 p.135

(٤) O.Bar-Yosef, Encyclopedia of Archaeological Excavations in Holy land, oxford University press, vol. IV, pp. 1214-1216.

(٥) Ibid. p. 1213.

(٦) Jean perrot, Archaeologia MVWDI Syria-palestine I, Nagel publishers, Geneva (switzerland) 1979 p. 102.

فقط ، بل وفي العالم كله . كما إن هذه المكتشفات تمدنا بمعلومات عن حياة الانسان البدائي الذي عاش في تل العبيد بفلسطين في ذلك الزمن السحيق .

القنتيات الأثرية في الحضارة العبيدية : كشفت نتائج التنقيب الاثري في ثلاثة مواقع بتل العبيد ، يبعد الواحد منها عن الآخر حوالي مائتي متر ، عن بقايا حضارتين هما قبل الابقيلية pre-Abbevillian ، والابقيلية Abbevillian[٧] ، تتضمن بقايا انسانية ، وحيوانية ، وادوات متنوعة ، أبرزها الحصى المحوتة ، والفؤوس الحجرية ذات الوجهين ، وادوات حجرية مسنونة الاشكال .

وقد مرت ثلاث مراحل في حضارة العبيد الاصلية ، تميزت الاولى منها بأنها ذات تقنية محدودة ، وذات ادوات بدائية . اما الطبقتان الثانية ، والثالثة تتميزان بتطور واضح ، وزيادة في عدد الادوات ، وأنواعها ، وقد صنعت جميعاً وفق طابع شرقي[٨] متميز عن غيره من النماذج الحضارية الاخرى في اوربا ، وافريقيا .

بقايا انسانية : تمدنا الحضارة العبيدية بأقدم الاشكال الانسانية التي عثر عليها حتى الآن في فلسطين . ويعرف هذا الانسان البدائي pthecantropus[٩] بأنه من صنع هذه الحضارة في العالم .

ويذهب ستيكلز Stekelis صاحب اكتشاف انسان العبيد التمثلة بقطعتين سميكتين من جمجمة بشرية ، تشابهها أربعة امثال جمجمة الانسان الحديث تقريباً . وهذا من الانسان كبيرة الحجم غير واضحة السمات العامة ، يعرف بـ Hommo Erectus[١٠] الذي يعتقد [illegible] والذي يتميز بأن حجم مخه [illegible] وتنتهي ببروز فوق محجر العينين ، وانف عريض ذي فم واسع ، وفك كبير بدون ذقن ، وهو بذلك يشبه قرد « الجابون » (رشيق الحركة) من ناحية الشكل وعدودية عقله ، اذ يبلغ حجم مخه حوالي ستين إنشاً مكعباً ، وهو اقل من متوسط حجم مخ الانسان الحديث بحوالي ٢٠ إنشاً الا أنه يتميز عن قرد الجابون بقامته التي تصل الى خمسة اقدام ، وسعة انشات .

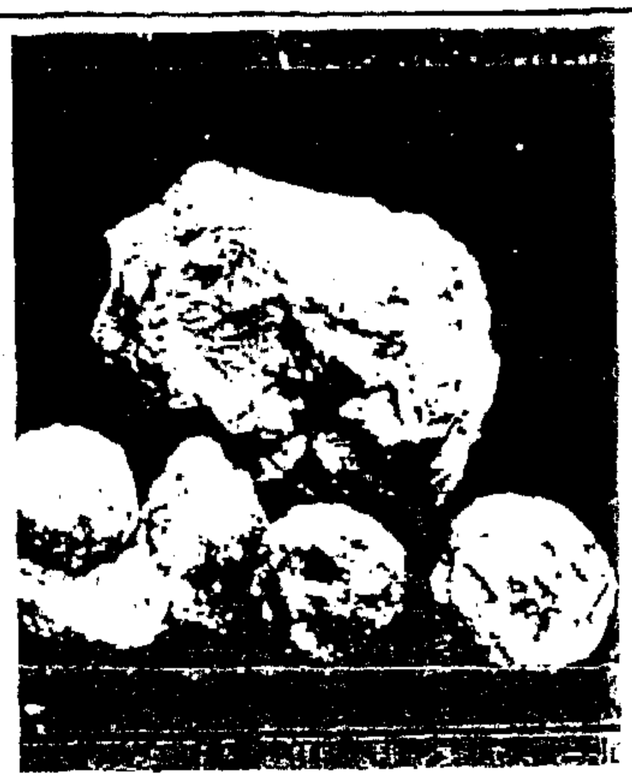

(كرات حجرية تشكل سلاح لصيد الحيوان . وذلك بتثبيت حجرين او اكثر الى حبل لرشق الحيوان) .

بقايا حيوانية : تمدنا البقايا العظمية المتحجرة التي عثر عليها في العبيدية ، بمعلومات عن الحيوانات التي كانت تعيش في فلسطين في ذلك الزمن السحيق . ومن المعروف أن بعض هذه الحيوانات قد انقرض بينما ما زال بعضها يعيش في فلسطين وتضم البقايا الحيوانية حوالي ثمانين نوعاً[١١] منها : الفيل ، والزراف ، والكركدن والقوارض ، والحصان ، والسلاحف . والغزلان ، وفرس النهر ، ونوع من الاسماك يعرف بـ Claries[١٢] .

الادوات العبيدية : عثر على العديد من الادوات الحجرية ، والخشبية التي تزودنا بمعلومات عن التقنية المستخدمة في صناعتها ، والهدف من صنعها ، فهي ادوات حجرية تعرف باسم Pebble Culture ، وتمثل اقدم الصناعات الانسانية المعروفة حتى الآن ، وقد وجدت هذه الادوات في المرحلة قبل الابقيلية وقد صنعت من خلال طرق قطعتين من الحصى معا لتكوين سطح مستوي . اما ابرز الادوات التي عثر عليها في المرحلة الابقيلية ، فهي : رقائق من الحجر ، وادوات ثنائية الوجه ، واخرى ثلاثية الرؤوس ، وادوات قاطعة ، ومطارق ، وحجارة للقذف واشكال كروية الشكل ، واقراص ، وعصي . ومن الجدير بالذكر أن هذه الصناعة ، وجدت نماذج منها في مكان قريب من العبيدية ، هو خربة مسكنة[١٣] ، الى الشمال من العبيديه على الساحل الجنوبي الغربي لبحيرة طبرية .

---

(٧) O.Bar-Yosef, op.cit., p. 1214.

(٨) Perrot, op.cit., p. 128.

(٩) Jan H.Negenman,New Atlas of the Bible,collins, st. James,s place, London, 1969, p. 22.

(١٠) Jerry, M. Landay, Silent cities, sacred Stones,Archaeoloyical discovery in the Holy Land and of the Bible, 1971, p. 38.

(١١) G.Haas, on the verteybrate fauna of the Lower Pleistocene site, ubeidya Jerusalem, 1966.

(١٢) محمود ابو طالب ، آثار الاردن وفلسطين . وزارة الثقافة والشباب ، عمان ، ١٩٧٨ ، ص ٣٤ .

(١٣) المرجع نفسه .

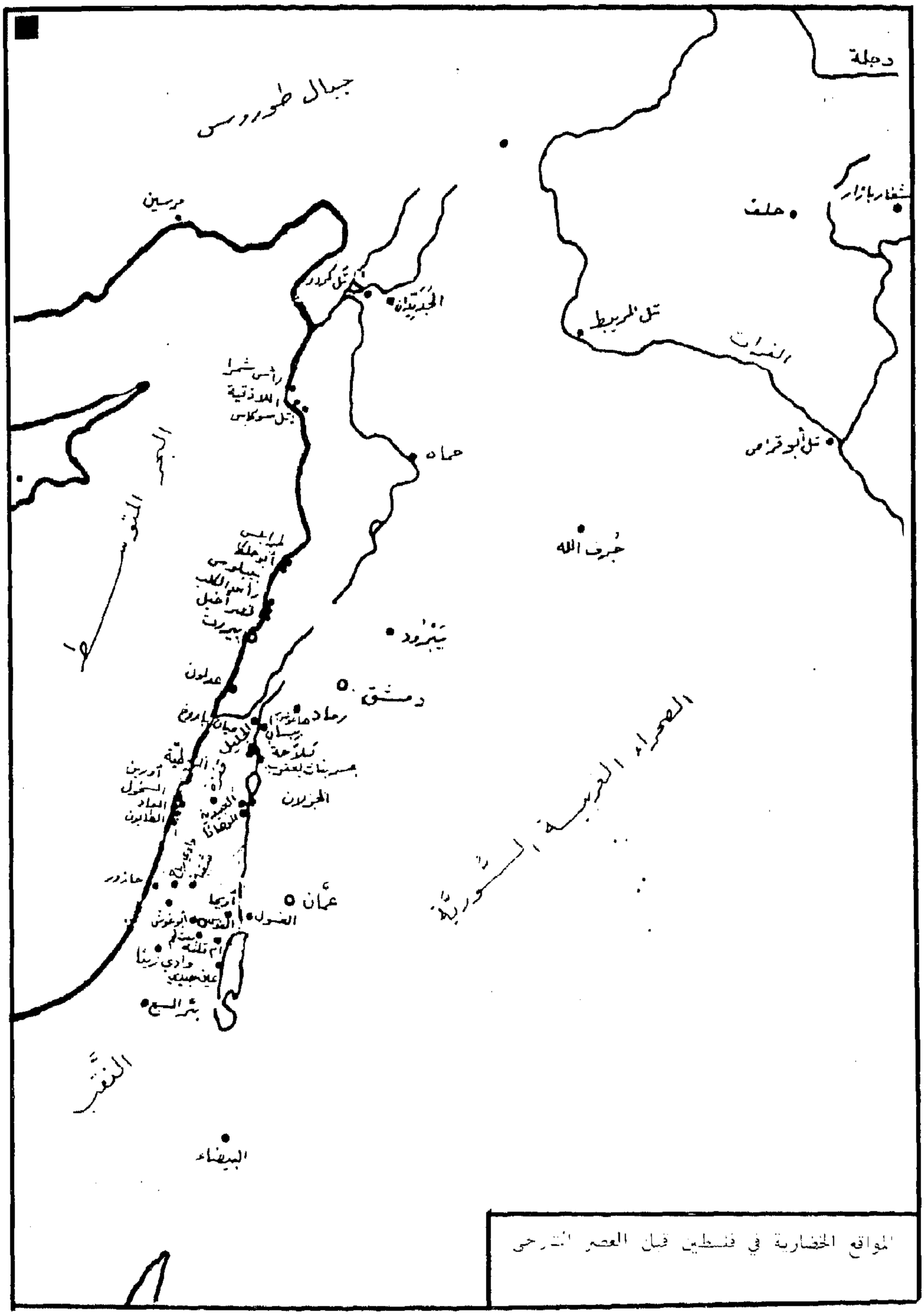

المواقع الحضارية في فلسطين قبل العصر الحجري

ويمكن مقارنة الادوات التي عثر عليها في الطبقتين الثانية ، والثالثة ، على النحو التالي :

الاداة	الطبقة الثانية	الطبقة الثالثة
ادوات تقطيع	١٨	٢٠
ادوات متعددة الرؤوس	١٥	١٨
ادوات كروية	٢	٢
عصى	١	—
اقراص	١٨	١٠
ادوات مكعبة	٤	٤
شرائح	٩١	٦٣
ادوات غير محددة الشكل	٢١	٢٦

ويتضح من بقايا الثدييات المتحجرة التي عثر عليها في العبيدية ، إنها كانت تشطر طولياً مما يشير الى أن انسان العبيد كان يقطع ، ويسلخ الحيوانات التي كان يصطادها ، وينتقي القطع التي يريدها من فريسته ، وبخاصة فرس النهر[١٥] ، وذلك بادوات مناسبة ، عثر عليها في اماكن خاصة بها .

لقد أظهرت نتائج التنقيب الاثري في تل العبيد ، أن العبيدي كان يعيش في مجموعات محدودة العدد على مساحات ، عبارة عن مسطح من الارض في الهواء الطلق ، بلغ عددها اثنتي عشرة قطعة ، وتقدر مساحة الواحدة منها بنحو مائة قدم[١٦] . كما تؤكد هذه النتائج أن العبيدي قد كيف نفسه في بيئته حيث استخدم المواد المحلية ، فاختار الوخام لصناعة المطارق ، والبازلت لصناعة المعاول اليدوية ، والاحجار الجيرية لصناعة حجارة القذف ، كما كان يحصل على قوته بالطرق المناسبة لامكاناته المحدودة واكتفى باصطياد الحيوانات المحيطة به الى جانب التقاط ثمار النباتات . وهذا يؤكد أن الانسان الفلسطيني في العبيد ، مهما كانت صلته بالانسان العاقل Homo Sapiens يعتبر من الرواد الاوائل للحضارة الانسانية.

●●●●